﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ [النّحل: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا تبيّن كذبهم، جـــوزوا بـما يستحقّون من العذاب

بعد أن أظهرتِ الآية السابقة كذبهم المصحوب بالغرور والتكبُّر؛ لكونهم لم يعترفوا بأنّ ما فعلوه مِن كفر باللّه وجحود لألوهيته هو مِن أخطائهم، بل تمادوا في غيِّهم حتى قالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖۚ﴾، فكشف اللّه أمرهم، وفضح سترهم؛ لأنه العليم بكلّ شيء، ومجازٍ بما يعلم كلًّا بما يستحق، فلذلك رتَّب على هذا العلم ما يناسب حالهم مِن جزاء، فإذا كانت حالهم ما قد عُلِم مِنَ الكفر والكبر، فليكن جزاؤهم جزاء الكافرين بربّهم، المتكبرين على الانصياع للإيمان به وطاعته، فقال سبحانه مبينًا هذا الجزاء: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَهَنَّمَ﴾: اسمٌ للنّارِ الَّتي يُعذِّبُ اللّهُ بها في الآخِرَة، وهي لفظَةٌ أعجَمِيَّةٌ لا تَنصَرِف لِلعُجْمَةِ والتَّعريف؛ ولذلكَ لا حاجةَ إلى البَحثِ عَنِ اشتِقاقِه، وقيل: جَهَنَّمُ اسمٌ عَربيّ، سُمِّيَت به نارُ الآخِرَة؛ لبُعْدِ قَعْرِها، ومَن جَعلَ جَهَنَّم عَرَبِيًّا احتجّ بقَوْلهم: بِئْرٌ جِهنّام، ويكون امتِناعُ الصَّرْفِ للتَّأنيثِ والتَّعْريف[1]، والمرادُ بجهنَّم في الآية: عَلَمٌ على دارِ العقابِ الموقَدَةِ نارًا.

2) ﴿مَثۡوَى﴾: أصلُ (ثوي): كلِمَةٌ واحِدَةٌ صحيحَةٌ تَدُلُّ على

(1) الأزهريّ، تهذيب اللغّة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (جهنم).

الإقامَةِ، يُقالُ ثَوى يَثْوِي فهو ثاوٍ[1]، فالثَّواءُ: طولُ المُقام، ويُقالُ للمَقتول: قد ثَوَى، ويقال للغريب المقيم ببلدة: هو ثاويها، والمَثْوَى: اسمُ مَكانِ الثّواءِ، وهو القَرارُ، فالمثوى المَقَرُّ، والمَثْوَى أيضًا: المَرْجِعُ، مِنْ ثَوَى إذا رَجَعَ، والثَّوِيُّ: بيتٌ في جَوْفِ بيتٍ، وقيل: هو البيتُ المُهَيَّأ للضَّيْف، والثَّوِيُّ: الضَّيْفُ نَفْسُه[2]، والقياسُ كُلُّهُ واحدٌ، والمقصود بالمثوى في الآية: مَحلُّ الثَّواءِ وهو الإقامةُ.

3) ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: أصل الكبر: الامتناع وعدم الانقياد، يقال: تكبّر البعير: إذا امتنع ولم ينقد[3]، والكبر: التّعاظم والاتّصاف بالعظمة، يقال: كبر، يكبر، كبرًا، أي: عظم، ويقال له أيضًا: التّكبّر والاستكبار، وضدّه: التّواضع والتّصاغر[4]، والمتكبّر: المتعالي والمتعاظم، والكبر أيضًا: معظم الشّيء، ويأتي الكبر بمعنى التّعالي والتّرفّع، فيقال: كبر وتكبّر عن الشّيء: إذا ترفّع وتنزّه عنه[5]، والمقصود بالمتكبّرين في الآية: ذوي الكبر المبالغ فيه؛ ولذلك استعيرت صيغة التّكلّف.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُقالُ للّذين كذّبوا وتكبّروا: ادخُلوا أبوابَ جَهنَّمَ، فكُلٌّ منكم يُعذَّبُ في طبقةٍ مِن طَبقاتِها بحسَبِ عمَلِه، ماكثينَ في جهنَّمَ أبدًا، فلَبِئسَ المقيل والمقام دار الذّل والهوان لمن كان مُتكبِّرًا عنِ اتِّباع الرُّسل والاهتداء بالآيات الَّتي أُنزلت عليهم، وما أفظعها من دارٍ، وصفها ربُّنا تعالى بقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: 36][6].

لـكـلِّ طـائـفـةٍ مـن الـضّـالـين المتكبّرين بابٌ يلجون منه إلى مثواهم من نار الجحيم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثوي).
(2) الخليل، العين: (ثوي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (كبر).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (كبر).
(6) المراغي، تفسير المراغي: 14/ 72.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف بالفاء في السّياق:

سوء أعمالهم مدعاةٌ لسرعة العقاب

في التَّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَٱدۡخُلُواْ﴾ احتمالان: **الأول**: يمكن أن تكون العاطفةَ المقتضيةَ للترتيب والتعقيب، والعطف على ما تقدم ذكره، وفائدة التَّعبير بها الدّلالة على سرعة معاقبتهم بدخول النار، باعتبارها مثواهم الذي أُعد لهم، بسبب[1] ما قدَّموه مِن أعمال السّوء، وأعظمها الكفر مع الكبر.

والآخر: يُحتمل أن تكون الفاء الفصيحة المنبئة عن شرط مقدَّر، قد عطفت عليه الجملة المذكورة بعد الفاء، أي: إذا كان الأمر على ما تقدَّم، ﴿فَٱدۡخُلُواْ﴾[2].

وكون هذا الجزاء: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ مفرَّعًا "على إبطال نفيهم عمل السوء ظاهر؛ لأن إثبات كونهم كانوا يعملون السوء يقتضي استحقاقهم العذاب"[3].

دلالة الأمر (ادخلوا):

توجيه الأمر إليهم بالدّخول، يدلّ على معرفتهم طريق جهنَّم

فعل الأمر (ادخلوا) أمرُ وجوب وإلزام لا تخيير فيه، وإنّما وجِّه إليهم الأمر بالدُّخول ولم يوجّهه إلى الملائكة ليُدْخلوهم، فلم يقل: (فأدخلوهم) أو (فأُدخِلوا) لبيان أنّهم بعد أن كشف الله لهم سوء أعمالهم قد عرفوا طريقهم وأنَّهم متّجهون إلى جهنّم، بحيث لا يحتاجون إلى سائق يسوقهم إليها، أو أنّه ساق الأمر كذلك تهكمًا بهم، وكأنَّهم هم من اختاروا طريق جهنّم[4].

نكتة جمع الأبواب (جمع قلّة):

عدد أبواب جهنَّم، سبعة أبواب كما في الخبر

سرُّ جمع الأبواب جمع قلة هو كون عدد أبواب جهنم قليلة، فهي

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4164.
(2) الخطيب وآخران، التفصيل في إعراب التنزيل: 7/ 153.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 140.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4164.

سبعة أبواب، كما أخبر عنها القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: 43 - 44]، ومعنى هذا أنَّ كلَّ باب من أبوابها مخصص لبعض أهل المعاصي، والظّاهر أنَّ تقسيمهم كائن بحسب نوع المعصية؛ كأن يكون بابٌ خاصٌّ بالمتكبرين، وآخر للظالمين، وثالث للجبّارين، وهكذا، "ليدخل كلّ صنف إلى الطّبقة التي هو موعود بها، وإنّما قيل لهم ذلك؛ لأنّه أعظم في الخزي والغمّ، وفيه دليل على أنَّ الكفّار بعضهم أشدّ عذابًا مِن بعض"[1].

سرّ الأمر بدخول الأبواب، دون جهنّم مباشرة:

اقتضاء ترهيبهم وتخويفهم ممّا بعد الأبواب

لعلّ السّر في الأمر بدخول الأبواب؛ ترهيبهم وتخويفهم، فكأنَّ الأبواب نفسها عليها أمارات العذاب وعلاماته، أو أنَّها تكشف عمّا في داخلها، فكيف بما في داخلها؟

وأبوابُ جَهَنَّمَ كما قيل: مُفضية إلى طبقاتها التي هي بعض على بعض، و(الأبواب) كذلك باب على باب[2].

بلاغة الكناية في لفظ الأبواب:

التّعبير بالأبواب كناية عن سعة جهنّم

في التّعبير بـ﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ كناية عن سعتها، وسهولة الوصول إليها؛ لمَن كُتبت عليهم وأوردوها بأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: 44][3].

إيثار لفظ ﴿جَهَنَّمَ﴾ دون (النّار):

عذاب بالتّجهّم، أكبر مِنَ العذاب بالتّألّم

إنّ اسم جهنَّم - في رأي - معرَّب وأصله فارسي[4]، وعلى القول بأنَّه عربي وهو الأرجح، فهو مُشتق مِنَ الجهم أو الجهومة وهو الشيء

(1) القِنَّوجي، فتح البيان: 7/ 234.
(2) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/ 389.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4164.
(4) الراغب، المفردات، والجوهريّ، الصّحاح: (جهنّم).

المخوف العابس الكريه[1]، وعندئذ يكون ما يحمله لفظ ﴿جَهَنَّمَ﴾ مِن معنى الكراهية والبغض والخوف هو مسوغ اختياره هنا؛ فلكونهم تكبَّروا على ربِّهم وتنكَّروا له، فإنَّه سبحانه يُعاقبهم في جهنّم التي يحمل اسمها الأوصاف المذكورة جزاءً وفاقًا.

نكتة التّصريح بلفظ الخلود:

غرض التّصريح بذكر الخلود، تعظيم غمّهم وحزنهم

صرّح تعالى بذكر الخلود - وهو المُكث الطويل الذي لا يُعرف له أمدٌ، وفي حق الكفار مفيدٌ الأبدية - رغم أنَّهم يعلمون ذلك لتكرّر الوعيد في القرآن بذكره؛ "ليكون الغمّ والحزن أعظم"[2].

سرّ صوغ لفظ الخلود، باسم الفاعل جمعًا:

الدّلالة على الثّبوت والتّجدّد في آن واحد

إيثار التَّعبير عنهم باسم الفاعل دون التَّعبير بالفعل، للدلالة على كونهم جديرين بما يحمله اسم الفاعل مِن وصف الخلود، كما أنَّه يدل على الثبوت والدوام، فطبيعة اسم الفاعل مزدوجة تحمل من سمات الاسم الثبوت، ومن سمات الفعل التجدد[3]، وممّا يدلّ على تجدّد عذاب أهل النار قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: 56].

فائدة شبه الجملة ﴿فِيهَاۖ﴾:

التّعبير على انغماسهم في نار جهنّم

دلّ التَّعبير بشبه الجملة ﴿فِيهَاۖ﴾ المكوَّن من (في) الظرفية ومجرورها وهو الضمير على انغماسهم في نار جهنَّم بحيث لا يجدون منها مفرًّا ولا مهربًا، كما قال تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣﴾ [الكهف: 53].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 272، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/ 326، والشّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 7/ 4138.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 200.

(3) عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص: 221.

دلالة الفاء، في السّياق المصطفى:

بيّنت الفاء سوء عاقبتهم لكونهم متكبرين

الفاء في قوله: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ للاستئناف[1] والجملة بعدها مستأنفة مؤكدة ومبينة[2] سوء عاقبتهم ومقرِّهم لكونهم متكبرين على عبادة ربهم، وعلى الاعتراف بأنهم في دنياهم قد أخطؤوا في الانصراف عن الإيمان الحق.

وقيل: الفاء هنا هي الفاء الفصيحة، التي تُفصح عن شرط مقدّر، أي: إذا كانوا سيدخلون جهنم خالدين، فلبئس مثواهم[3].

دلالة اللّام في سياق الآية الكريم:

تأكيد الذّم واضح في دلالة الجملة

(اللّام) لتأكيد الذّم، أي: فلبئس مثواهم[4] وفائدة التأكيد باللّام هو الاعتناء بالذَّم؛ لأنَّ القوم ضالون مضلون، كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [النّحل: 25][5].

ولا يُقال: كيف دخلت لام التّأكيد على الفعل الماضي؟ لأنّها لا تدخل على الماضي المنصرف - غير المسبوق بقد - وإنما تدخل على الجامد كـ (بئس) لبعده عن الأفعال وقربه منَ الأسماء[6]، ويصحّ أن تكون اللّام هنا لام القسم[7]، أي: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

إيثار فعل الذمّ (بئس)، ودلالة جملة الذّم:

من العذاب تخويفهم وتحسيرهم

أوثر التَّعبير بـ (بئس)؛ لكونه فعلًا مختصًّا بالدَّلالة على الذَّم، لما فيه من دلالة على البؤس، ويقابله (نِعْمَ) الدّالّ على المدح،

(1) الخطيب وآخران، التفصيل في إعراب التنزيل: 7/ 154.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 145.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4164.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 389، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4164.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 371.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 6/ 523.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 140.

وجملة الذَّم تذييلٌ قُصد به ترهيبهم وتخويفهم مِن مثواهم الذي هو مصيرهم أبدًا، وهو جهنّم ولبئس مثواهم هي، وقُصد به أيضًا تحسيرهم على ما أفرطوا فيه مِن أعمالٍ ألجأتهم إليه، وما فرَّطوا فيه مِن أعمال كانت ستغير مثواهم مِن دار الجحيم، إلى الخلود في دار النعيم.

نكتة حذف المذموم (المخصوص بالذّمّ):

حذف المخصوص بالذّمّ للدّلالة عليه

المخصوص بالذّم محذوف وتقديره: فلبئس مثوى المتكبّرين هي، أي: جهنم أو أبوابها[1]، أو بئس المثوى مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ[2] وقد حُذف للدّلالة عليه في قوله: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾.

وجه تنكير ﴿مَثۡوَى﴾:

مقام المتكبّرين، مهول العذاب

نكَّر ﴿مَثۡوَى﴾ في قوله: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ لإرادة تفخيمه وتهويله، فالفعل المُشين يستدعي سوء العقاب، وشنيع العذاب في أردى مكانٍ، وأسوأ مُقام.

نكتة الإظهار في موضع الإضمار:

أوردهم المهالك كِبْرهم وعدم الاستماع إلى الحقّ

أظهر في موضع الإضمار، فقال: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ ولم يقل (بئس مثواهم) للدَّلالة على أنّ الكبر عن الحق، وعدم الاستماع إليه، والإصغاء لأهله، هو الذي أرداهم وأودى بهم[3]، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: 60].

دلالة تعريف ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾:

جزاء كلّ متكبّر جهنّم

(أل) في المتكبِّرين دالَّة على استغراق الجنس، فجميع المتكبِّرين بئس جهنم مثواهم، وفي ذكرهم بعنوان التّكبر إشارة إلى أنَّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 371.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 524، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/ 390.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4164.

استحقاقهم النّار كان للتّكبر عن طاعة الله ورسوله، وأنَّه العلة لثوائهم فيها[1].

دلالة الوصف باسم الفاعل ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾:

التّعبير عن أصالتهم في وصف التّكبر

إيثار التَّعبير عنهم باسم الفاعل دون التَّعبير بالفعل، للدّلالة على كونهم جديرين بوصف التّكبر، كما أنّهم جديرون بجزاء المتكبرين الذي ذكرته الآية الكريمة.

والمراد بتكبُّرهم التكبُّر عن طاعة الله وعبادته كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾ [الصافات: 35]، وفيه تعريضٌ بأنّهم جديرون - لغاية ما لهم منَ البلادة - أن يستحسنوا النّار، كما كذّبوا، مع العلم التّام بأنّه لا يروج في ذلك اليوم كذب[2].

نكتة تضعيف الفعل (تكبَّر):

تضعيف التكبرُّ مفيد للتكلُّف

التّكبُّر من الفعل تكبَّر، وهي صيغة (التفعُّل) تدلّ على التّكلُّف نحو التّشجُّع والتّحلُّم والتّصبُّر، كما تدلّ الصّيغة على العمل المتكرّر في مهلة نحو: تفهّم، وعلى معنى استفعل مثل: تكبَّر وتعظَّم[3]، وهذه المعاني ملحوظة في التّكبُّر، فالمتكبِّر يتكلَّف الكبر ويكرره إلى أن يعتقد أن نفسه بالفعل كبيرة، ثم يصير الكبر فيه سجيَّةً وطبعًا، فيكون جديرًا بوصف المتكبِّر.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المثوى والمأوى والدّار والمنزل:

المأوى دالّ على التّجمّع، والمثوى على عدمه، والمنزل والدّار دالان على الاستقرار

المأوى: هو كل مكان يأوي إليه شيء ليلًا أو نهارًا، ومنه قوله تعالى: (قال سآوي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُني من الماء) ومن أصوله الدّالّ عليها التَّجَمُّعُ، كما هو ملحوظ في قوله تَعالَى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى

(1) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 5/ 327، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/ 365.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 146.
(3) ابن الحاجب، الشافية، ص: 63.

ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: 10]، وقالَ: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون: 50]، وهو ضَمٌّ مع ضعفٍ ما - كما في الإيواء للنّصرة والحياطة، وكما في تأوِّي الجُرْح، فإنّ تقاربه للبرء يتمثّل في تضامّه، وكما في الأويّ إلى المنزل، وكذا إيواء الرَّجل، وكذا المأوى المنزل، فكل ذلك لا يستعمل فيه (أوَى) إلا لضعفٍ ما؛ كالحاجة إلى الحماية مِن عدوّ أو مخوف أو جوٍّ يضر التعرض له، وكالحاجة إلى الرّاحة[1]، وقَدْ أُطْلِقَ المَأْوَى في التَّنْزِيلِ عَلَى الجَنَّةِ وهوَ عَلَى الأَصْلِ في اسْتِعْمالِهِ، وعَلَى نارِ الجَحِيمِ، وهوَ مِنْ بابِ التَّهَكُّمِ، ونُكْتَتُهُ بَيانُ أنَّ مَنْ كانَتِ النّارُ مَأْواهُ لا يَكونُ لَهُ مَلْجَأٌ يَنْضَوِي إلَيْهِ، ولا مَأْمَنٌ يَعْتَصِمُ بِهِ[2].

المثوى: الثَّواء: الإقامة مع الاستقرار، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: 45]، وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: 60] وقال: ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [فصلت: 24]، وقال: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: 72]، وقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الأنعام: 128][3]، فهو من ثوى بالمكان إذا أقام به إقامة سكنى، أو إطالة مكث، وقد بين الثّواء بالخلود بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[4]، ونلحظ أن القرآن قد خصّه بأهل النار، ولم يُذكر مع أهل الجنة، فسائر ما في القرآن مِنَ التركيب هو (مثوى) بمعنى مكان الثواء والإقامة (جهنم) للكفار حسب السياق[5].

المنزل: المنزِل - بكسر الزاي -: الدّار موضعُ النزول[6]، والنُّزُل - بضمتين -: ما يُعَد للنزيل والضيف منَ القرى، وإطلاق اسم النُّزُل على العذاب استعارة علاقتها التّهكم، كقول عمرو بن كلثوم:

قَرَيْناكُم فعَجَّلْنا قِراكُم *** قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْداةً طَحونا[7]

الدّار: المنزل اعتبارًا بدورانها الذي لها بالحائط، ويُقال لكلٍّ مِنَ الدّنيا والآخرة،:

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أوى).
(2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 10/ 93.
(3) الرّاغب، المفردات: (ثوى).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 8/ 70.
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ثوى).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نزل).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 16/ 45، وديوان عمرو بن كلثوم، ص: 73.

دار[1]، وأطلق على النّار بإضافتها إلى صفتها في قوله سبحانه: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨﴾ [إبراهيم: 28] أما الجنة فقد أطلق عليها ﴿ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: 24] مطلقًا دون الحاجة إلى وصف، في قوله سبحانه: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: 24]، وأحيانًا مع وصف بحسب السّياق، كما في قوله تعالى: ﴿۞لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: 127].

وبعد هذا العرض نرصد الفروق بين أربعتها، مع التّأكيد على التّقارب الدّلالي بينها؛ لكونها جميعًا دالّة على الإقامة بالمكان مع طول مكث:

أمّا لفظ المأوى فملحوظ في دلالته معنى التّجمّع، وهو ما يميزه مِن بقيتها، سواء كان هذا التّجمّع في الدّنيا كتجمع أهل الكهف، وكما يطلق الآن على التجمع السكاني لمن فقدوا ديارهم: (منازل الإيواء)، أو كان هذا التجمع في الآخرة، كتجمع أهل الجنة فيها للأنس ﴿جَنَّتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة: 19] أو تجمع أهل النار ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: 72].

وأما لفظ المثوى فملحوظ فيه أن القرآن لم يستعمله إلا في حق أهل النّار، ولم يُعبِّر به عن أهل الجنة، وقد ألمح ابن عاشور إلى دلالة التّعبير به وهو أن أهل النار "متراصون في النار وهم في مثوى، أي: محل ثَواء واستقرار ومكوث" ففيه معنى التحقير لهم[2]، وهو علّة اختياره في هذه الآية في سياق الحديث عن مآل المتكبّرين بوصف جهنّم مستقرًّا لهم، محقّرين، مهانين.

أمّا المنزل، فهو الدار، والدار هي محل الاطمئنان والاستقرار، ولذا فإن التّعبير به لا يخرج عن هذا المعنى، إلا مقصودًا به غرض آخر كالتهكم ونحوه، ومثل المنزل التّعبير بالدار، فالدار محل الاستقرار والاطمئنان، ومن ثم أطلق على الجنة لفظ (الدّار) بخلاف جهنم فما أطلق عليها لفظ الدار إلا موصوفة بما يدل على سوء ما فيها، كدار البوار.

(1) الرّاغب، المفردات: (دار).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 140.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»